وهي في بطرسبرج، لتوجه حياة ولد في بسكنتا؟

كنت بين السادسة والسابعة عندما دخلت المدرسة الروسيّة في بسكنتا. وكان أقصى ما أتمنّاه آنئذٍ أن أخرج منها ولي الأهليّة لأن أدرّس الصفوف السفلى في مدرسة مثلها وبراتب لا يتجاوز في تلك الأيّام العشرين فرنكاً فرنسيّاً. وما أحسب أنّ والدتي أو والدي كانا يطمعان لي بمجد فوق ذلك المجد.

ولكنّ الموجّه الأعظم، من غير علم مني، كان يقودني في طريق غير ذلك الطريق. فما مضى على وجودي في تلك المدرسة خمس سنوات حتى قيل لي إنّني انتدبت لمتابعة دروسي في دار المعلّمين الروسيّة في مدينة الناصرة. وهي المدينة التي ربي فيها يسوع الناصري والتي قال فيها أحد تلاميذه عندما سمع به وقبل أن يراه: «وهل يخرج من الناصرة شيء صالح؟» ودار المعلمين في الناصرة كانت مدرسة مجانية كذلك حتى في لباسها. وكانت منظمة أفضل التنظيم. مدة التدريس فيها ستّ سنوات وغايته إعداد مديرين للمدارس الروسيّة الابتدائيّة التي أخذت تنتشر في البلاد حتى بلغ عددها الخمسين أو يزيد. وهنا كذلك اطمأنّ بالي إلى مستقبلي ورحت أتخيّلني مدير مدرسة ما في مكان